كتـــاب

بستان العارفين ونزهة الناظرين

من الكتب المخطوطة التي دخلت خزانة كتبي كتاب بستان العارفين ونزهة الناظرين يظهر انه بخط مؤلفه فقد قال في آخر الكتاب انه «تم على يد كاتبه وجامعه الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير الراجي عفو ربه القدير الحاج احمد ابن حسن الشامي عفا الله عنهما وذلك نهار الأربعاء لسبعة عشر مضى (؟) من ربيع الآخر سنة احدى واربعين والف وكان شروعي فيه واتمامه له في جامع السفاحية في حلب المحمية» .

تمّ الكتاب وربنا المحمود وله الفضل والثنا والجود ؟
ثم الصلاة على النبيّ محمد ما ناح قمري وأورق عود

أما مقدمة الكتاب بعد البسملة والحمدلة والصلاة على الرسول وآله واصحابه فهي :

«وبعد فان العبد الفقير الحقير الذليل الراجي رحمة ربه وعفوه الجزيل لما رأيت بنو (؟) الزمان وما بهم من الملل والكسل من مطالعة الكتب المؤلفات والدواوين المطولات ما يؤدي بهم الى الزعل وان القلوب ترتاح الى الفنون المختلفة .

وقد قال عليّ بن ابي طالب عليه الرحمة والرضوان : «ان القلوب تملّ كما تملّ الأبدان فاهدوا لها طرائف الحكمة» .

وكان المأمون رحمه الله تعالى ينتقل كثيراً من داره من مكان الى مكان وينشد قول أبي العتاهية :

لا يصلح النفس إذ كانت مدبرة (؟) الاّ التنقل من حال إلى حال

فأردت ان اجمع مائدة من دقّ سماط السادة المتقدمين ولطائف كلام الشعراء السالفين طرفاً من الظرف من درّة التاج وواسطة العقد وما خلص على سبك النقد اكثرها لأهل العصر والقريب العهد .

وسميته بستان العارفين ونزهة الناظرين وشرعت في ذلك وسلكت فيه أحسن المسالك ورتبته على حروف المعجم واتبعتها بشيء من المردوف والاقتباس وجعلت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اسماء الشعراء فهرسةً في عنوان الديوان ليكون جمعها بإتقانٍ وأساس .

وكان شروعي في ذلك نهار الأربعاء لتسعة عشر مضى من شهر ربيع الأول سنة احدى واربعين وألف . وما ذلك بحولي وقوتي وانما ذلك بفضل رب العالمين وأفوض أمري اليه وبه أستعين »

والكتاب من القطع الصغير اذ ان طول الورقة (٢٠) سانتيمتراً وعرضها ١٢ سانتيمتراً وفي كل صفحة (١٧) سطراً بخطٍ جيد مشرق والعناوين بالحبر الأحمر .

ويبدأ جامع الكتاب كل حرف من حرف الهجاء بقصيدةٍ للجعبري رحمه الله تعالى فينقل في حرف الألف القصيدة التي مطلعها :

أصلي صلاة تملأ الأرض والسما على من له أعلى العلى متبوأ

اقيم مقاماً لم يقم فيه مرسل وأمست له حجب الجلال توطأ

كما ان الحروف الأخرى يبدأها بقصائد في مدح سيد الوجود عليه الصلاة والسلام

أما القصائد الأخرى ففي اغراض مختلفةٍ ومما نقله الى مجموعته من القصائد قصيدة قال انها للإمام علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه مطلعها .

دع الأيام تفعل ما تشاء وطب نفساً اذا نزل القضاء

ولا تجزع لحادثة الليالي فما لحوادث الدنيا بقاء

وكذلك نقل القصيدة الزينبية المنسوبة اليه ولكنه قال عنها ومما قاله الإمام وهي التي مطلعها :

صرمت حبالك بعد وصلك زينب والدهر فيه تصرُّم وتقلب

ونقل له قصيدة ثالثة مطلعها :

لك الحمد يا ذا المجد والجود والعلا تباركت تعطي من تشاء وتمنع

وغالب العلماء على ان علياً رضي الله تعالى عنه وأرضاه لم يقرض الشعر وغاية ما نسبوه اليه قطعة صغيرة جاء في أولها :

تلكم قريش تمنوني لتقتلني فلا وربك ما بروا ولا ظفروا

وفي بعض الأحيان يورد بأواخر القصائد أحاديث شريفة وروايات وسيراً ونكات أدبية .

أما الشعراء الذين نقل قصائدهم الى مجموعته فهم بحسب ترتيب نقله : ابو نواس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والخليل وابراهيم بن رفاعة والوفائي وعبد القادر الكيلاني والبهاء زهير وشهاب الدين العمري الدمشقي والصلاح الصفدي والحاجري وابن عفيف التلمساني ومامبه الانكشاري والشيخ ابو الوفاء والامام الشافعي والتنوخي والصفي الحلي والجيلي وعبد الهادي السوري والنواجي وابن مليك الحموي وعلي ابو الوفا وعبد الرحيم البرعي وناصر الدين بن النقيب وابو مدين وابن الفارض واحمد البكري والشيخ الحريري ومحمد البكري والقيراطي والششترى وابو العتاهية وابن نباتة وابو الفضل بن وفا وعبد العزيز غير منسوب والعناياتي ومحيي الدين بن عربي ويزيد بن معاوية وعدي بن مسافر والحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما والسلطان احمد خان من آل عثمان [1] والاغرازي كما نقل لبعض الشعراء وزاد الجامع بعض مقاطيع على كتابه وهي التي قال عنها في المقدمة المردوف والاقتباس وهي لزهير الكاتب وابن الوردي وابن الراوندي وشيخ الشيوخ بحماة وابن سنا الملك والمادراني والحجازي وعبد القادر وعمر بن عبد العزيز وغيرهم

وفي الكتاب خرم من اواخر حرف الدال الى اوائل حرف الطاء بضياع بعض كراريسه .

وعند ما نقل قصيدة ميمية ليزيد بن معاوية قال « قصيدة يزيد بن معاوية . رضي الله عن معاوية وعامل الله يزيد ومطلع هذه القصيدة :

اراك طروباً ذا شجىً وترنم تطوف بأذيال السجاف المخيم

اصابك عشق ام بليت بنظرة فما هذه الا سجية مغرم

وقال في موضع :

ذكر ان يزيد بن معاوية كان مجاهراً بالخمر متهتكاً فيه وله في وصفه بدائع

---

(١) نقل الجامع موشحاً قال عنه ومما نظمه المرحوم المغفور له السلطان ابن السلطان السلطان احمد خان مطلعه : البدر أشرق بالجمال عليه والسلسبيل يسيل من شفتيه

والغصن نال اللين من عطفيه

ولكن كتاب الاتراك ينسبون هذا الموشح الى السلطان سليم خان بن بايزيد خان وهو الموشح الذي جاء في آخره : لولا الاله وحرّ نار جهنم لاشته وجلست بين يديه

وقد نقل هذا البيت الكاتب التركي الشهير المرحوم نامق كمال كما يلي .

لولا الاله وحرّ نار جهنم لعبدته وسجدت بين يديه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وغرائب لم يسبق اليها ونهاه عنه والده مراراً فلم يلتفت اليه وغضب معاوية عليه بسبب ذلك فأنشد يزيد يخاطب والده ويقول :

أمن شربةٍ من ماء كرم شربتها غضبت عليَّ ٠ الآن طاب لي السكر
سأشربُ واغضب ٠ لارضيت كلاهما حبيب الي قلبي عقوقك والخمر

فصبر والده لذلك وتغافل عنه مدَّة ثم لاطفه وعاتبه وكتب يا بنيَّ ما أقدرك ان تصير الى حاجتك من غير تهتك بذهب مروءتك وقدرك ثم ان معاوية أنشد :

انصب نهاراً في طلاب العلى واصبر على بعد لقاء الحبيب
حتى اذا الليل أتى مقبلاً واكتحلتْ بالغمض عين الرقيب
فبادر الليل بما تشتهي فانما الليل نهار الأريب
كم فاسق تحسبه ناسكاً يستقبل الليل بأمر عجيب
أرخى عليه الليل أثوابه فبات في أمنٍ وعيشٍ خصيب
ولذة الأحمق مكشوفة يتبعها كلّ عدوّ مريب

قال فاتعظ يزيد بذلك وحلف ان لا يشربها نهاراً ٠ وقال في موضع آخر :

حكي ان السلطان الملك الأشرف كان له مملوك بديع الجمال فأحبه فقير وصار يجلس في الطرقات التي يسلكها السلطان ليرى ذلك المملوك حال ركوبه مع السلطان فأعلم السلطان بقضيته فمنع المملوك من الركوب فمرض الفقير بسبب ذلك وبلغ السلطان خبره فرثى له وأمر المملوك ان ينزل وحده ويعود الفقير فنزل اليه وجلس عند رأسه وجعل يروّح عليه بمروحةٍ فرفع الفقير اليه وتنفس وأنشد يقول :

روّحني عائدي فقلت له لا لا تزدني على الذي أجدُ
أما ترى النار كلما خمدت عند هبوب الرياح تتقدُ

وقال أيضاً: ومما حكي ان الرشيد حبس ابا العتاهية فكتب على حائط الحبس :

أما والله ان الظلم لؤم وما زال المسيء هو الظلوم
الى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

قال فأخبر الرشيد بذلك فبكى بكاءً شديداً ودعا ابا العتاهية فاستحله ووهب له الف دينار وأطلقه ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وحكى سليمان بن الحارث قال كنت في موكب جعفر بن يحيى اذ اعترضه البهلول وبيده حجران وهو هارب من الصبيان فألقاهما وتعلق بلجام بغلته ثم أنشد يقول :

يا جعفر الجود والمعروف والكرم يا كعبة الفضل والأفضال والحكم
يا من اذا السحب لم تسمح بدرّتها كانت أنامله أندى من الدّيم
ما لي اليك شفيع استعين به الا العلاء وطيب الأصل والشيم
لله درّك من حرٍ اخي ثقةٍ يعطي الجزيل بلا منٍ ولا سأم

فقال له جعفر تمنّ عليّ يا أبا محمد فقال ترد عليّ عقلي قال لا قدرة لي على ذلك قال فتؤمنني من الموت قال وهذا أصعب قال فتكفيني اولاد الزناء قال هذا معتذر فيه قال فما ظننت يا أحمق اني اطلب منك كسرة تفنى او خرقة تبلى واعطيك ما يبقى اني اذاً لقليل الخبرة بالتجارة ثم خلاّ عن بغلته وانصرف وهو يقول :

ظنّ ابن يحيى انني راغب في ماله ما لي وللمال
يفنى الذى يعطي ويبقى له حسن أماديحي وأقوالي

وقال أيضاً : « وحكي ان المتنبي عادى صاحب مملكته فتوعد المتنبي بالقتل فخرج هارباً واختفى مدة . ثم أخبر الملك انه ببلدة كذا فقال الملك لكاتبه اكتب للمتنبي كذا ولطف له العبارة واستعطف خاطره واخبره اني قد رضيت عنه وآمره بالرجوع الينا فاذا جاء الينا فعلنا به ما نريد وكان بين الكاتب وبين المتنبي مصادقة في السرّ فلم يسع الكاتب الا الامتثال فكتب كتاباً ولم يقدر ان يدس شيئاً خوفاً من الملك لأنه يقرؤه قبل ختامه فلم يمكنه غير انه لما انتهى الى آخره وكتب اليه بقوله ان شاء الله شدّد النون وقرأه السلطان وختمه وأرسل به الى المتنبي فلما وصل اليه وقرأه ورأى تشديد النون ارتحل من تلك البلدة على الفور فقيل له في ذلك فقال اشارة الكاتب بتشديدها الى قوله تعالى « انّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين » .

ثم ان المتنبي كتب الجواب وزاد الفاً في آخر لفظة ان اشارة الى قوله تعالى: « انا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها » .

ويظهر ان جامع هذا الكتاب من دعاة الأدب المكشوف حين يذكر استهتار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يزيد وادمانه معاقرة الدنان وحبّ الفقير لمملوك السلطان ويورد القصة الآتية بلا تورع ولا حسبان ولعلها لم تروَ من قبل غيره الى الآن وقد يستبعد وقوعها في ذلك الزمان وهذه هي :

وحكى صاحب روض القلوب قال :

دخلت مدينة حلب سنة ٥٦٧ فسكنت في بعض دورها وكان الى جانبي دار حسنة تسكن فيها امرأة ذات حسن وجمال وكانت مغنية ثم تابت عن الغناء وتزوّجت برجلٍ صوفيّ وكانت بارعة في الجمال والفضل والأدب وتنظم الأشعار وتروي شيئاً من الأخبار وتكتب خطاً حسناً فائقاً وتروي ديوان البحتري وتعرف علم النجوم والنحو معرفةً تامة .

وكانت مع هذا الفضل مولعة بمحبة شبان الفقهاء والصوفية وليس لها في غيرهم أرب . وكانت اذا علمت ان لأحد منهم أدنى نزوة أقبلت عليه ومالت بكليتها اليه ثم جلبت عقله بشعرها ومراسيلها وحسن عبارتها وعذوبة منطقها وأظهرت له المودة الزائدة حتى يصبو لها قلبه ويطير الى محبتها لبه فاذا علمت انه وقع في شباكها وسقط في شراكها سلبت حينئذٍ ما في يده بحسن توصلها ولطافة حيلها ثم استبدلت به غيره وكان هذا شعارها أبداً فلما سكنت في جوارها وصرت قريباً من دارها سوّلت لها نفسها ان تخدعني بتملقها كما فعلت بقوم آخرين فكتبت اليّ رقعة تتشوق الى زيارتي وتطلب محادثتي فكتبت اليها اعتذر عن تخلفي عن زيارتها وأذكر لها اقلالاً وفقراً وعوائقاً شاغلة تمنع من زيارتها غير اني وعدتها الزيارة عند ذهاب العلل والعوائق فكتبتْ اليّ رقعة تقول فيها هذه الأبيات :

فلان الدين قاضي الشام جمعاً ومن عمّ البرية بالنوالِ
ومن بالعلم فاق على البرايا ومن يهدي الى سبل المعالي
أيحسن ان اهيم بك اشتياقاً وانت خليّ بال لا تبالي
وان أشقى بحبك لا لشيءٍ يقرّبني اليك سوى الوصال
وتمطلني بوعد كل يوم وتنطق حين تنطق بالمحال
أفي الشرع المطهر جاء هذا أجبني يا حبيبي عن سؤالي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال فأجبتها عن ذلك :

كتابك جاء يستدعي وصالي ... وينسبني الى قول المحال
ويزعم ان قلبك مستهام ... من الأشواق للنيران صالي
فيا من ليس تشبهها فتاة ... بأوصاف الملاحة والجمال
اذا سفرت فشمس ضحى تجلت ... بدت للناس من تلك الحجال
وان هي في النقاب بدت رأينا ... هلالاً بل اجلّ من الهلال
فديتك ليس يمنع منك الاّ ... خلائقك القبيحات الفعال
ودادك كله مكر وزور ... ومصيدة لألباب الرجال
اذا فارقت هذا كان هذا ... معدّاً في حبالك للوصال
فهذا من وصالك قد تخلى ... وهذا قد تورّط في الحبال
أأطمع في وصالك بعد هذا ... وأصفيك المودّة غير قال
ودادك واشتياقك لي ووعدي ... محال في محال في محال
على اني وحقك لست أبغي ... لوصل الغانيات سوى حلال

قال فلما قرأت الرقعة وسمعت الجواب آيست من نفوذ حيلها وبلوغ مرادها وعرفت اني قد عرفت خديعتها فأمسكت عن ذلك . اه

وانت ترى ان هذه القصة أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة .

والكتاب على هذا النسق من الأخبار المروية والقصص المحكية وهو من القطع الصغير طوله ٢٠ سانتيمتراً وعرضه عشرة سانتيمترات وفي كل صفحة ١٧ سطراً والسطر مؤلف من ١٣ كلمة ولم يشر ملاّ كاتب چلبي صاحب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون اليه مما يدل على انه بخط المؤلف .

على اننا نرجو ان نجد له نسخة ثانية عند بعض الغواة لاستكمال النقص الموجود بهذه النسخة فيكون ذلك من حسن التوفيق .

(حيفا) عبد الله مخلص

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net